بحوث ومقالات في تاريخ الجزائر العثمانية

1520–1830.

بحوث ومقالات في تاريخ

الجزائر العثمانية

1520-1830.

أعمال الندوة العلمية المنعقدة

يوم 23 أوكتوبر 2019

تنظيم قسم التاريخ

كلية الآداب والحضارة الاسلامية

بمشاركة مجموعة من الأساتذة والطلبة الباحثين.

من داخل الجامعة ومن خارجها

جمع وتنسيق الأستاذ محمد أوجرتني

كل الحقوق محفوظة

العنوان: أعمال الندوة العلمية المنعقدة يوم 23 أوكتوبر 2019

المؤلف: مجموعة باحثين.

الحجم: 24/16 سم

عدد الصفحات: 224صفحة

الناشر: كلية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة الجزائر.

الايداع القانوني :السداسي الأول2020

ردمك:ISBN.978-9931-456-11-7

تقديم:

لا زال تفسير الوجود العثماني في الجزائر وملابساته يترنح بين مختلف المدارس والاتجاهات والباحثين والمؤرخين المعاصرين للفترة أو الذين جاؤوا بعدها، سواء كانوا مؤرخين محليين أو أجانب، وهذا ما نستشفه من خلال إطلالة بسيطة على أعمال البعض منهم.

لقد كانت أحوال الجزائر " المغرب الأوسط" والمغرب الإسلامي عامة بما في ذلك الأندلس، قبل مجيء العثمانيين تتميز بالاضطرابات والفتن وهشاشة البناء السياسي، والتقهقر والركود الحضاري في شتى المجالات.

لقد تغلبت العقلية القبلية الضيقة في المنطقة على فكرة الدولة، فتفتت الكيانات السياسية وضعُف الحكم المركزي، وسادت قبائل عديدة مختلف جهات البلاد:

ففي الشرق سيطرت قبيلتا النمامشة والحنانشة، وساد المقرانيون في ناحية القبائل الصغرى وحوض واد الصومام، وبني عباس ومجانة، وحكم آل ابن القاضي في جزء من منطقة القبائل الكبرى متخذين من قرية كوكو مقرا لحكمهم،

وأما في الوسط فحكمت قبائل عديدة كالثعالبة واولاد هلال واولاد سليمان واولاد مختار.

وفي الغرب حكمت قبائل عديدة أيضا أهمها سُوَيد وبنو عامر بوهران وفليتة وحميان، وقد عمل بعضها على التعاون مع القوى الأجنبية بلا هوادة.

وفي الجنوب سيطر عرب الأغواط على وسط الصحراء والارباع، وبنو ميزاب جنوب غرب الزاب، وأولاد سيد الشيخ والعمور واولاد نايل في وسط وغرب شمالي الصحراء، والشعانبة بنواحي ورقلة،

وظلت البلاد بعد سقوط الدول المركزية في المغربى الأدنى والأقصى والأوسط في حالة فوضى وانقسام، وكانت السلطة فيها موزعة بين الملوك

الزيانيين والحفصيين وسلاطين الصحراء وشيوخها من بني جلاب والزوايا النافذة، وكانت مدينة الجزائر التي ستتبوأ الصدارة ومتيجة، تحت حكم الثعالبة برئاسة آل ابن التومي..

وعانى الأهالي الأمرّين بسبب غياب الأمن والاستقرار في البلاد، وغياب نظام حكم مركزي فكثرت المجاعات والأمراض الفاتكة وزادتها بؤسا توالي الكوارث الطبيعية المختلفة.

وقد زاد الوضع سوءا اشتعال الجبهة الخارجية بسبب تحرشات الإسبان وتفوقهم، وسعيهم لبسط النفوذ على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط، والشروع في نقل الحرب إليها تكملة لما يعرف بحروب الاسترداد Reconquista. التي أججت أُوراها أفكار الكنسية الكاثوليكية العدائية، ولعبت الملكة إيزابيلا دورا فعالا فيها حيث كتبت في وصيتها قائلة"لا يجب توقيف التوسع في إفريقيا ولا يجب وقف القتال ضد الكفار(تقصد المسلمين)".

والكل كما يقول دوغرامون ساهم في صناعة عقلية الحرب ضد المسلمين، وإضفاء أجواء القداسة عليها، سواء الملكة إيزابيلا أو النبلاء أو الشعب الاسباني أو الكاردينال قسيمينيس، الذي كان صوته مسموعا أكثر من غيره.

ونتيجة للوضعية السياسية السالفة الذكر تمكن الإسبان من احتلال المرسى الكبير في شهر أوكتوبر سنة 1505، بقيادة دون دييغو دو قرطبة واحتل بيدرو نافارو وهران في ماي سنة 1509 ثم بجاية سنة 1510، فبدت كل المؤشرات في صالحهم.

في ذلك الوقت، كانت مدينة الجزائر بموقعها الممتاز تمثل الجبهة المتقدمة للمغرب الأوسط في مواجهة الأطماع القادمة من الشمال، خاصة بعد سقوط بجاية المفاجئ في 10جانفي من سنة 1510، فدبّ الهلع في

صفوف أهالي المدينة وخشوا من انتقام الإسبان، مما دفعهم لتوقيع وثيقة خضوع واستسلام في 31 جانفي 1510. يعترفون من خلالها بسيادة ملك إسبانيا الكاثوليكي على المدينة ويتعهدون بتحرير جميع الأسرى المسيحيين، وعدم المساس بمصالح حلفاء الإسبان، وتنازلت المدينة عن جزر البنيون الواقعة قبالة المدينة للإسبان، فاغتنم بيدرو نافارو هذا الوهن وقام ببناء قلعة محصنة عليها، عرفت باسم قلعة أو حصن البينون، أو صخرة الجزائر، على أنقاض مسجد إسلامي قديم كان موجودا بها، واتخذ الإسبان هذه القلعة كوسيلة للضغط على المدينة.

ومع اشتداد التحرش الاسباني ظهر الأتراك على مسرح الأحداث، ممثلين في الإخوة بربروس وصارت لهم سمعة طيبة وشهرة واسعة في البحر المتوسط بفضل شجاعتهم وخبرتهم بعلم الملاحة.

ويقول بعض المؤرخين معللين سبب التواجد العثماني في البحر المتوسط أن العثمانيين جعلوا أنفسهم في مواجهة أسرة آل هابسبورغ النمساوية في النزاع الذي احتدم بين المسلمين والنصارى في البحر الأبيض المتوسط تحت عنوان حرب الهلال ضد الصليب.

واتخذ الإخوة عروج وخير الدين وإسحاق من مدينة جربة في تونس قاعدة لهم، واستحدثوا لأنفسهم أسطولا بحريا، وشاع خبرهم ابتداء من 1503 حينما كانوا يغيرون على شواطئ جنوة وفرنسا واسبانيا وسردينيا ومينورقة وصقلية وقبرص ورودس ونابل وكثيرا ما كانوا يتفوقون على أعدائهم.

ثم تطوعوا لمساعدة مهاجري الأندلس وبتطور الوضع وجدوا أنفسهم في حاجة ملحة للاتصال بالأهالي بهدف تنظيم المقاومة ضد العدوان الاسباني.

واختلف المؤرخون حول مجيء العثمانيين للمنطقة هل كان ذلك من أجل إنقاذ المغرب العربي من التوسع المسيحي الأوروبي الذي كانت تتزعمه اسبانيا أم هي أطماع توسعية على عادة الإمبراطوريات القوية في القرون الوسطى؟

على أية حال فقد اتصل عروج بالحفصيين في تونس وحصل من أميرهم مولاي محمد على الإذن باتخاذ مدينة تونس قاعدة خلفية للغزو ومحاربة القرصنة الأوروبية شريطة عدم المساس بمصالح حلفاء الحفصيين والتنازل عن خمس الغنائم للأمير.

وبالتحاق خير الدين بأخيه كما يقول أرنيست مارسييه زرعا الرعب في البحر المتوسط والسواحل المسيحية متخذين من جزيرة جربة مأوى لسفنهم القتالية وقاعدة جديدة لنشاطهم مستقلين نوعا ما عن إرادة ورغبة الأمير الحفصي في توجيههم والسيطرة على تحركاتهم.

ولم يكن في أجندة الإخوة بربروس في الحقيقة بناء وتأسيس دولة بالمفهوم المتداول، وفق ما ذهب إليه أغلب المؤرخين، بقدر ما كان عملهم ضمن مسعى شخصيّ، بدافع الغيرة الدينية والأخوة الإسلامية، وقد كان بإمكانهما الانسحاب خاصة بعدما قاوم الثعالبة الوجود التركي بزعامة سالم التومي الذي قتل في سنة 1516، وفرار ابنه يحي إلى إسبانيا لطلب النجدة، فأمده الإسبان بقوة عسكرية كبيرة، لكن عروج تمكن من هزمهم في معركة باب الوادي بمدينة الجزائر في سبتمبر 1516، وقام بملاحقة فلول الإسبان غرب الجزائر، لكنه قتل هو الآخر سنة 1517بشعبة المالح شرق تلمسان.

كما كان بإمكان خير الدين بربروس العدول عن سياسته في المنطقة بعدما وجد نفسه وحيدا بعد وفاة إخوته في حروب المغرب الأوسط، وكان في وضع صعب لا يملك فيه إطارا عسكريا ولا صداقات مع الأهالي، وأرغمته هذه الظروف إلى طلب الوصاية الرسمية من الدولة العثمانية، على المناطق

التي تتعرض للحرب والغزو من طرف الإسبان، وكانت النتيجة تكوين إيالة الجزائر التي صارت جزءا مهما وامتدادا راسخا للدولة العثمانية في غرب البحر الأبيض المتوسط.

تأسست هذه الإيالة الجديدة في سنة 1520 وبدأت ترسم ملامح جديدة للواقع السياسي والحضاري للحوض الغربي للبحر المتوسط، وتطرح علاقات جديدة مع دوله، واستمرت في أداء هذه الأدوار في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية حتى تاريخ سقوط الإيالة بيد الاستعمار الفرنسي سنة 1830.

ضمن هذه المعاني ولمزيد من البحث ومناقشة لمختلف الإشكاليات حول نشأة الدولة الجزائرية خلال العهد العثماني ارتأينا أن نساهم في هذا النقاش من خلال هذه الندوة وغيرها والسعي لإزالة اللبس عن كثير من القضايا، وكذلك من خلال إنجاز كتاب جماعي يتناول بالدراسة والبحث بعض المحاور المقترحة، وذلك بمساهمة مجموعة من الأساتذة والباحثين والطلبة الراغبين في المشاركة وفق الشروط العلمية المعمول بها، ملتمسين أن تكون المحاولات البحثية جديدة منفتحة على القراءات الأجنبية المختلفة خاصة الغربية منها، من خلال كتابات القناصلة والسفراء والتجار والرحالة ومفتدي الأسرى.

ومهما يكن من أمر فإن مجالات البحث في جزائر العهد العثماني ما تزال تطرح الكثير من القضايا للدراسة وإعادة القراءة من جديد منها:

-العثمانيون في البحر الأبيض المتوسط بين الرغبة في التوسع ومقاومة المد المسيحي الأوروبي.

-إشكالية البداية – قراءة في تشكيل الإيالة-

-نظام الحكم و"إشكالية النمط".

-الأتراك في الجزائر بين الاندماج والمحافظة على هويتهم اللغوية والتراثية والدينية |" الاسباب والنتائج".

-عسكرة الإيالة: 300 سنة من المقاومة والحروب الأسباب والانعكاسات.

-واقع الثقافة، وهل هي رافد من روافد الركود؟.

-حكام الإيالة بين ولائي السلطنة والإيالة.

-الحكم العثماني في الكتابات المحلية والأجنبية.

-علاقة السلطة بالسكان الضوابط والحدود.

-المدينة والريف تمازج وتكامل أم صراع وتنافر؟.

-الشعراء والأدباء والنخب المثقفة وعلاقتها بالسياسي والحضاري.

-رؤية الجزائريين للآخر.

-الطرق الصوفية، والتآكل الداخلي.

-فقهاء وعلماء متنورون.

- الإيالة وقيم الحضارة الغربية.

-عبد القادر المشرفي ودعوته التجديدية.

-عبد القادر الراشدي فيلسوف مجدد بين سلطة بليدة و مجتمع جاهل أسير التقليد.

-أبو راس الناصري علامة بايلك الغرب وأطروحاته.

-ابن العنابي ورؤيته الاصلاحية.

-مسؤولية العلماء والفقهاء في تردي الأوضاع الثقافية والسياسية في الجزائر إبان الحكم العثماني.

-حواضر كبرى في إيالة الجزائر بين الواقع والتطلعات، قسنطينة عنابة تلمسان بجاية معسكر، إلخ.

فهرس الكتاب:

مقدمة.....	5
التأثيرات العثمانية في المجتمع الجزائري 1520-1830..... **لطرش حنان**	11
النخبة الجزائرية أواخر العهد العثماني ورؤيتها للآخر ابن العنابي نموذجا..... **عايدة حباطي**	45
الحياة البرية في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال كتب الرحالين الأوروبيين..... **د. لخضر بوطبة**	55
المؤرخون الأوروبيون والدولة الجزائرية خلال العهد العثماني... د. محمد أوجرتني	101
الجوسسة الأوروبية في الجزائر خلال العهد العثماني..... بخاخ سعدون	145
الفكر السياسي والجهادي عند الشيخ عبد الرحمان الثعالبي..... د.لخضر بوطبة	159
الصراع على مشيخة العرب في بايلك الشرق أواخر العهد العثماني..... أ.محمد أوجرتني	173